الوحي واسباب النزول دراسة في الدور والعلاقة والتاثير

ا. عماد الهلالي

مجلة المنهاج العدد : 46

المنهاج العدد 46 :

الطائفية والوعي الديني ماذا حل بالمشروع غير الطائفي في المجتمعات الاسلامية؟
الشيخ حيدر حب الله
التخريجات الفقهية للمعاملات البنكية القسم الثاني
السيد محمد باقر الصدر
المجتمع في النص القرآنيمن المفهوم الى المصداق
الشيخ احمد مهدي زاده
دراسة في الدور والعلاقة والتاثير
الهلالي ا. عماد
ببلوغرافيا السيرة الفاطمية مطالعة في الدراسات الاسلامية حول فاطمة الزهراء(س)
ا. محمد نوري
استثمار واقعة الطف في المسرحية العربية مسرحية (ثانية يجي الحسين) انموذجا
د. محمد حسين حب
مسالة الزمان في الفلسفة الاسلامية مقارنة بين الخواجوئي والخوانساري
نور ا. محمد
البسملة دراسة تحليلية في ضوء علوم الشريعة والقرآنيات
عابديني الشيخ احمد
محمد باقر الصدر .. السيرة و المسيرة قراءة في كتاب
السيد عبد السلام زين العابدين
لبنات التفسير السلفي بين النفي والاثبات
نجارزادگان د. الشيخ فتح الله
ضروريات الدين والمذهب دراسة في المنطلقات الفقهية لظاهرة التكفيرالقسم الاول

الشيخ محمد هادي آل راضي
مسالة الايمان والازمة الطائفية
السيد ا. كمال
الاسلام الاعمى والاسلام المستنيرقراءة في خطاب الامام الخامنئي
الاسدي ا. مختار
ضروريات الدين دراسة فقهية في معايير الكفر والاسلام
رضا الشيخ سليمان علي
السلفية الدينية والفتنة الطائفية دراسة في المنطلقات والدوافع
ا. مجيد محمد علي
دار السيدة المعصومة(ع) النسوي في مدينة قم، يواصل نشاطه الثقافي
معرض طهران الدولي للكتاب في دورته العشرين
المشهد الادبي في مؤلفات الامام (ره)في ندوة بدمشق
كشف علمي جديد يؤكد ان القرآن الكريم يحوي شفرة رقمية تحميه من التحريف
مؤتمر لمناقشة واقع الفضائيات الاسلامية بالكويت
اصدارات

مقدمة المسلمين زمن الدعوة المحمدية من قضايا او عما القى على الرسول من اسئلة مثلت اسبابا مباشرة لنزول الوحي.

والحق ان الخوض في هذه المسالة لا يخلو من بعض الصعوبات، اهمها ان الوحي مفهوم مفارق ممثل لركيزة اساسية منركائز الدين الاسلامي. ولكنه في الوقت نفسه مجسد في نص يتداوله المؤمنون خاصة بعد ان استحال القرآن مصحفا((155)) ولا شك في ان الانتقال من ((المتعالي)) الى ((المحايث)) ((156)) قد استفز القدامى للنظر في اشكال الوحي وطرقه.

و-اختلفوافي هذا الباب اختلافا.

وفضلا عن ذلك فان معرفتنا بالاطار التاريخي الذي نزل فيه الوحي معرفة غير مباشرة، لان المؤلفات التي تصف ذلكالاطار التاريخي الفت في وقت متاخر ((157)) . ولذلك فهي تعكس/تمثل اصحابها للوحي المنزل على النبي. ونعتقد انهاقدم مصدر جدير بالثقة في تعريفنا بموضوع الوحي هو القرآن بلا منازع، ولكن دون استبعاد ما احتفظت لنا به المؤلفاتالاسلامية القديمة من اخبار تهم الوحي استبعادا كليا او قبولها على علاتها دون ادنى سؤال عن قيمتها التاريخية الوحي لغة ((158)) .

قال في الاساس: اوحى اليه واوحي اليه بمعنى، ووحيت اليه واوحيت اذا كلمته بما نخفيه عن غيره، واوحى الله الى انبيائه،(واوحى ربك الى النحل) قال الراغب: اصل الوحي الاشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: امر وحى، وذلك يكون

بالكلامعلى سبيل الرمز والتعريض، قد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وباشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلكقوله تعالى عن زكريا: (فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا)، اي اشار اليهم ولم يتكلم.

فقد قيل: رمز. وقيل: اشار، وقيل: كتب ((159)) .

فالقول الجامع في معنى الوحي اللغوي: انه الاعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه اليه، بحيث يخفى على غيره، ومنوحي الايماء بالجوارح قول الشاعر:

نظرت اليها نظرة فتحيرت دقائق فكري في بديع صفاته فاوحى اليها الطرف اني احبها فاثر ذاك الوحي في وجناتها ((160)) وكلمة ((وحي)) موجودة عديد المرات في القرآن لوصف ماهية الخطاب القرآني وعلاقة الله بالنبي محمد والالهاماتالموجهة الى الانبياء من قبله ((161)) نظريات في الوحي والذي ينبغي التنبيه اليه ان دراستنا للوحي من خلال علم اسباب النزول تسعى الى تجاوز المواقف والنظريات من الوحيالتي ليست لها مرجعية موضوعية.

النظرية التقليدية اولا: موقف ايماني يعتقد اصحابه ان القرآن كلام الله عينه لم يكن فيه الرسول الا مبلغا له دون ادنى تدخل منه. في هذهالنظرية ما ان تذكر الوحي حتى يتبادر الى ذهنهم ان الله مستقر في الاعالي في نقطة في السماوات السماء السابعة مثلا آبعيدة جدا جد، فيما النبي يعيش على الارض، واذا ما اراد الله ان يوصل تعاليمه الى النبي احتاج الى موجود يقطع هذهالمسافة، ولا بد ان يكون الموجود ذا جناح وريش ليكون بمقدوره قطع هذه المسافة الشاسعة، كما لا بد وان يتمتع بالعقلوالادراك لكي يكون بمستطاعه ان يوصل للنبي الامر الصادر عن الله ((162)) .

وبذلك احتفظ المصحف العثماني بالقرآن كله وبالشكل الذي نزل على محمدغ. وغني عن البيان ان هذا الموقف فرضسيادته على الفكر الاسلامي قديما ((163)) .

النظرية التنويرية ثانيا: ثم تفسير آخر يقع في النقطة المقابلة للنظرية العامية (التقليدية)، وهو لا يتوخى انكار النبوة، فالذي يطلقه لا يريدالانكار، بل اعتمد هذا التفسير لنفسه وحسب.

لقد كتب السيد احمد خان الهندي تفسيرا على نمط خاص، وهو يتبنى تقريبا هذا التفسير الذي سنعرضه، كما تبناه افرادآخرون.

لقد شاء بعض الناس ان ينظر الى الوحي من قبل الله ونزول الملائكة والتشريع السماوي وجميع ما يتصل بذلك على انهامجرد تعابير مجازية، حيث لا يمكن التحدث مع عوام الناس الا بمثل هذه اللغة.

يقوم منطق هؤلاء على ان النبي نابغة اجتماعي، بيد انه نابغة محب للخير، وهذا النابغة الذي وهبه الله هذا النبوغ ظهر فيالمجتمع، وراح يتامل باوضاع مجتمعة، ويرصد ما يحيط بالناس من اوجاع وضروب وفساد، وعندما يدرك ذلك كلهوينفعل به يفكر بتغيير اوضاع الناس. وبالنبوغ الذي يحظر به يرسم للناس طريقا صحيحا جديدا ويبينه لهم.

وعندما يسال هؤلاء: اذن، ما هو الوحي؟ وماذا يعني الروح الامين وروح القدس؟ يردون بان روح القدس ليس الا الروحالباطنية للنابغة، والعمل الروحي الذي يتمتع به ويسبغ عليه الالهام.

فالنابغة ياخذ الالهام من باطنه وليس من موضع آخر. ولما كانت هذه الافكار تنبثق من اعماق روحه ثم تنطلق الىسطحه، فنحن نقول ان الروح الامين جاء به، ولما كان الله هو مصدر جميع الافعال، وكل شي بيده، فالله اذن هو الذيبعث النابغة، لان اي فعل لن يكون الا ان يشاء الله.

وبهذا يكون معنى الوحي في هذه النظرية هو الانبثاق من عمق فكر النبي الى ظاهر فكره.

واذا سالنا هؤلاء ما هو الدين؟ يجيبون: لما كانت القوانين التي وضعها النابغة قوانين صحيحة وصالحة حق، وهي مفيدةلسعادة المجتمع في ذلك الوقت فهي اذن دين من قبل الله .((164)) نظرية محمد اقبال وعبد الكريم سروش ينطلق الدكتور سروش لنظرية الوحي من خلال نظرية اقبال في هذه المسالة، فينقل رواية عن كتاب مفاتيح الغيب لصدرالدين الشيرازي ((ان لله عبادا ليسوا بانبياء تغبطهم النبوة)) قائلا:

يعني هؤلاء يستوحون معارف غيبية في واقعهم الباطني، ربما تكون مرتبتهم اعلى من بعض الانبياء الالهيين الذين وردذكرهم في تاريخ النبوات، ومع ذلك فان هؤلاء العباد ليست لديهم رسالة خاصة وشريعة سماوية لتبليغها للناس ان منبع الخطاب النبوي هو من جنس الوحي، والوحي بدوره كما يرى اقبال هو من جنس الغريزة اي: الدوافع النفسية آولكن مضمونه ومحتواه خطاب عقلاني، اي: انه يدفع بالانسان والبشرية لسلوك خط العقلانية والاستفادة من العقلالاستقرائي والتامل في عالم الطبيعة والتاريخ.

فعند ظهور هذه التاملات والمفاهيم، ووصول العقل الى مرتبة الحجية انتهت حجية الغريزة او الوحي في ما تمثله منمصدر معرفي للانسان، وكما يقول محمد اقبال: ان هذا المعنى يعد من كمال النبوة حيث ادرك النبي ان التاريخ البشري لايتحمل بعد الان ظاهرة النبوة وقد بدات مرحلة العقلانية بالظهور، وينبغي على الانسان ان ينظر الى مضامين الوحيوالتجارب الدينية، بل الى جميع المعارف البشرية برؤية نقدية... والانسان المعاصر يستطيع من خلال الاستفادة من التراثالبشري ان يقود سفينته رغم التحديات والظروف الصعبة ويوصلها الى ساحل الامان ((165)) .

ويضيف الدكتور سروش قائلا:

ان متعلق الوحي والخاتمية هي الشخصية الحقوقية للنبي.

اي: ولايته التشريعية، بمعنى: ان النبي نفسه لا يرى انه ملزمومكلف باقامة الدليل والاتيان بقرينة وشاهد، ومن هنا كان الوحي الخطاب الديني خطابا ولائيا وليس خطابابرهانيا.

وتوضيح ذلك: ان الكلام عندما يستمد حجته من عملية الاستدلال والقواعد المنطقية، فان ذلك يعني قطع الرابطة معالوحي، بحيث يكون الميزان والمعيار لصحة ذلك الكلام والخطاب هو ميزان الدليل والبرهان، فان كان دليلا مقنعا فسوفنقبل المدعى والا فلا.

فالانبياء من النادر ان يتحركوا في مجال الوحي على مستوى الاستدلال، فالعمدة في الوحي هو شخصية النبي وتجربتهالدينية او تعاليمه السماوية، واساسا فان هذا المعنى للوحي هو شان النبوة ((166)) .

النظرية الاستشراقية ثالثا: جنح ممثلو هذه النظرية من بعض اهل الاستشراق الى طمس الخاصية المفارقة في الوحي، فاعتبروه كلام محمد لاكلام الله، وعينوا مصادر ثقافية عديدة استقى منها النبي مادة القرآن ((167)) .

يقول المستشرق ((وليم مونتجمري وات)) :ذچددخج ژژچس شزذرخژذرذ ان القرآن كتاب بشري، وان الوحي داخلي، لذلك كان محمد مسيطرا عليه، وبامكانه استدعاؤه وصرفه في اي وقت يشاء.فمخيلة محمد كجهاز تختزن فيه المعلومات ثم تستدعى حسبما يريد الانسان ((168)) .

والوحي مستقاه من المحيط الجماعي الذي عاش فيه قبل البعثة... وما كان الملك ((جبرائيل)) الا خيالا ادى الى حضور تلكالموضوعات الى وعيه، في الحالة التي يسميها وحي . ((169)) ويقول المستشرق ((درمنغام)) :ذحخخذحذزحا .ب القرآن فيض من وجدان محمد، وصورة من انطباع نفسه بما كان يدور حوله وامام عينه.

والوحي ليس الا وحيا من داخل نفس الرسول لا من مصدر خارجي، اي من العقل الباطن لا من رب العالمين ذهب هذا المستشرق الى نظرية الفيلسوف ((ارسطو)) الذي ذهب الى ان الجسد سجن النفس، وان الانسان اي انسان اذااجاع الجسد وامرضه، انطلقت نفسه وعندها تتصل بالعالم العلوي فتسمع اصواتا وترى اشباحا... هذه نظرية النبوة عندالاغريق ((170)) .

ولقد فرق المستشرق الالماني الدكتور تيودور نولدكه ((حدحدرت زرحرحخث)) بين الوحي والالهام تفريقا فيه مزيج بين الواقعوالصوفية، فعد الوحي خاصا بالانبياء، والالهام خاصا بالاولياء، اذ لا يوحى اليهم ((171)) .

نظرية معروف الرصافي عن الوحي كذلك يعتبر الشاعر والمفكر العراقي معروف الرصافي الوحي بانه كلام محمد لا كلام الله، حيث يقول: ان شخصية محمدشخصية ذكية، ذو عقلية ممتازة...

ويقول: جاء في كتب السير انه كان دائم الفكر، متواصل الاحزان، يحب الخلوة، فكان يذهب الى جبل حراء فيبقى وحدهفي غاره الايام والليالي، ولا شك انه لم يكن له في ذلك الغار شغل عن التفكير، ومما يدل على انه من المفكرين قوله فيالقرآن: (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب).

وكان محمد شديد الفطنة، شديد الانتباه لما يجري حوله من الامور، فلا يفوته من الذين حوله همسهم، ولا ما يبدو علىوجوههم من علامات السخط والرضا ((172)) .

كان محمد واسع الخيال قويه جد، وكان تفكيره وخياله فرسي رهان يجري احدهما مع الاخر، فاذا تفكر في امر تخيلهوتصوره، واخذ يصوره للعيان حتى يكون كانه يراه بعينه ويسمعه باذنه ويلمسه بيده.

واعظم دليل على سعة خياله وقوته ما جاء في القرآن وفي الاحاديث النبوية من وصف الجنة وجهنم... ولا ريب ان الجنةالتي وصفها محمد باوصافها الباهرة المعلومة انما هي من بنات خياله الواسع القوي، لانها بهذا الشكل المبهج العجيب غيرمذكورة في التوراة ولا في الانجيل، فجنة محمد جديدة بان تكون المثل الاعلى للسعادة المخيلة في الحياة.

ومن الدليل على قوة خياله وانه في طريق تفكيره اذا تخيل شيئا تجسم له في ذهنه حتى صار يراه بعينه ويسمعه باذنه ماجاء في الاخبار عن بدء الوحي من رؤيته جبرائيل في افق السماء، فقد ذكر الرواة عنه انه قال:

((فخرجت اي من غار حراء حتى اذ كنت في شط من الجبل اي جانب منه سمعت صوتا من السماء يقول: يا محمدانت رسول الله وانا جبرائيل، فوقفت انظر اليه فاذا جبرائيل على صورة رجل صاف قدميه)) ((173)) .

فعلى راينا يكون الوحي كله بجميع اقسامه وصوره كلام محمد، وليس كونه وحيا الا بمعنى انه الهام من الله، وان زعموا انذلك كفرا. واذا كان قول الحقيقة كفرا كما يزعم المتدينون تدينا اعمى، فلينسبنا من شاء منهم الى الكفر، وانما اقول لهم ماقلت قبلا:

هل الكفر الا ترى الحق واضحا فتضرب للانظار من دونه ستر وان تبصر الاشياء بيضا نواصعا فتظهرها للناس قانية حمرا ((174)) النظرية الحسية رابعا: تنطلق هذه النظرية من قناعة فحواها ان لجميع افراد البشر ادراكا وشعورا وحسا باطنيا خاصا واضافيا علاوة علىالعقل والحس العاديين ((175)) .

ولكن غاية ما في الامر ان هذا الحس او الشعور الباطني يتفاوت بين انسان وآخر، بحيث يبلغ في بعضهم درجة شديدة منالقوة تؤهل صاحبها للارتباط الحقيقي الواقعي مع العالم الاخر، اما ما هو هذا العالم فلا ندري؟ والذي يحصل نتيجة هذا الارتباط هو

ان تنفتح لهذا النمط من البشر ابواب العالم الاخر على وجه الواقع. ومن ثم فانالمسالة لا تقتصر على الفعالية الوجودية للانسان ونبوغه الخاص، بل غاية دوره في العملية ان له استعدادا للارتباطبالخارج وبما وراء هذا العالم وحسب.

وهذه الخاصية الحس الاخر والاستعداد المتميز للارتباط بالعالم الاخر لا تقتصر على الانبياء بنص القرآن، لان القرآنصرح بنفسه بوجودها بشكل قوي جدا عند غير الانبياء ايض، مثل والدة عيسى ووالدة موسى و... ((176)) .

النظرية الحسية عند الشهيد الصدر يقول الشهيد محمد باقر الصدر بان الوحي ضرورة من ضروريات تخليد الانسان على وجه الارض، ولهذا خلق اللّهالانسان، واودعه الاستعداد الكامل، والارضية الصالحة، بافاضة هذه الموهبة منه سبحانه.

والانسان خلق حسيا اكثر منه عقلي، خلق يتفاعل مع حسه اكثر مما يتفاعل مع عقله... وهذا يعني ان الحس اقدر علىتربية الانسان من النظر العقلي المجرد، ويحتل من جوانب وجوده وشخصيته، وابعاد مشاعره وعواطفه وانفعالاته، اكثر ممايحتل العقل ((المفهوم النظري المجرد)) ((177)) .

الحس المربي للانسانية بناء على هذا كان لا بد للانسانية من حس مرب زائد على العقل والمدركات العقلية الغائمة الغامضة، التي تدخل الى ذهنالانسان بقوالب غير محددة وغير واضحة.

الحس هو المربي الاول دائم، ولكي يمكن تربية الانسان على اساس حس يبعث في هذا الانسان انسانيته الكاملة، الممثلةلكل جوانب وجوده الحقيقية، كان لا بد من خلق حس في الانسان، يدرك تلك القيم والمثل والمفاهيم، ويدرك التضحية فيسبيل تلك القيم والمثل ادراكا حسي، لا ادراكا عقلانيا بقانون الحس والقبح العقليين.

وهذه الارضية، او هذا الاستعداد الكامل كان الارتباط المباشر مع الله سبحانه وتعالى، لكي تتكشف كل الصحف، كلالستائر، عن كل القيم، وكل المثل، وكل هذه الاعتبارات والاهداف العظيمة لكي ترى رؤية العين، وتسمع سماع الاذن، لكييلمسها بيده، ويراها بعينه ((178)) .

اذن، هذه الاشياء والقيم الحسية اذا اصبحت امرا واقعيا في اشخاص معينين، يختصهم الله تعالى بعنايته ولطفه واختياره،وهؤلاء هم الانبياء والمرسلون.

وهذا الحس هو الذي استطاع ان يربي شخص النبى(ص) وسائر الانبياء، من آدم ونوح وابراهيم ولوط وهود وموسىوعيسى، واعدهم لكي يكونوا الممثلين الطليعيين، والرواد الاوائل لخط هذه القيم والمثل الانسانية، والاهداف الكبيرة((179)) .

هذا الحس رباهم اولا بالذات، ثم خلق وجودا حسيا ثانوي، هذا الوجود الحسي الثانوي الوحي كان هو المربيللبشرية.

النظرية الفلسفية الاسلامية (عند القدماء) خامسا: ان اعادة احياء التراث الهيلينى قد انشات حركة فلسفية عرفت باسمها اليوناني وهو فلسفة ((شخررژردخخت))، حيث هذاالاحياء الفلسفي ادى الى تطور الفلسفة الاسلامية ونموه، وهذه الفلسفة حاولت اما تطوير الوحي او استيعابه.

وفي حين وقف بعض الفلاسفة موقفا رافضا من مسالة الوحي، فقد راينا الاكثرية تحاول استيعاب المسالة، فهؤلاء الفلاسفةجعلوا العقل يغلف الوحي ((180)) ويستوعبه، ذلك انهم راوا فيه وسيلة مفيدة على بدائيتها لمخاطبة عامة الناس منذوي القدرة المحدودة ((181)) .

موقف الفلاسفة هذا من رجال الدين يعكسه الكندي ((182)) ، اول الفلاسفة، وهو يصر على ((ان صناعة الفلسفة هي انبلصنايع بني البشر)) ((183)). ومن هنا ينطلق الى مهاجمة رجال الدين زاعما انهم ضئيلو المعرفة، وانه لا هم لهم سوىالدفاع عن مراكزهم ومصالحهم الشخصية دون الالتفات الى الحقيقة ((184)) . وليس مفاجئا ان الفلاسفة، باعطائهم مسالةالوحي مرتبة ثانوية وباتخاذهم موقفا متعاليا ((185)) اثاروا عداء الفقهاء الذين بلغ تطرفهم حد اتهام الفلاسفة بالكفر((186)) .

حيث نجد مواقف مثل ابي العلاء المعري، وفخر الدين الرازي، وابن رشد، وسواهم ممن انكروا ظاهرة الوحي والنبوءة، اوتعاملوا مع خطاب الوحي بوصفه معرفة بسيطة هي من الدرجة الثانية او الثالثة، قد واجهوا مثل هذه التهم ((187)) .

ودليل الفلاسفة على جعل الوحي من الدرجة الثانية او الثالثة، لانهم لو اخذوا به قبل العقل اي جعلوه من الدرجة الاولى آففي هذه الحالة سوف يصبحون متكلمين لا فلاسفة، وهذا يخالف المنهج الفلسفي المتبع.

وهناك نظريات اخرى عن الوحي ومفهومه، لا يسعنا طرحها في هذه الدراسة.

وعلى هذ، راينا من المفيد انجاز مقاربة انتروبولوجية للوحي ((188)) حتى نتجاوز القصور المعرفي الغالب على هذهالمواقف والنظريات من هذا المفهوم. ولذلك سنحرص في ما يلي من بحث على بيان حال الرسولغ النفسية والجسديةلحظة تقبل الوحي من خلال اسباب النزول. وننظر بعد ذلك في العلاقات الزمانية بين وقوع السبب ونزول الوحي.

ثم نختمالبحث بتعيين اهم وظائف الوحي التي ترشح بها اسباب نزول القرآن.

اولا تقبل الرسول للوحي من خلال اخبار اسباب النزو لما كانت اسباب نزول القرآن متعلقة في حدوثها بمرحلة تاريخية متميزة، وجد المفسرون وعلماء القرآن في شهاداتبعض الصحابة وصفا لحال الرسولغ لحظة تقبله الوحي. واستعادوا من

خلال تلك الشهادات تجربة فريدة افتقدتها الاجيالالتالية لمجتمع الدعوة. فاعادوا بناء طور من اطوار الاسلام في بواكيره، خاصة ان نص المصحف لم يسعفهم بتفاصيل عنذلك الطور. ويبدو في تقدير القدامى ان الرغبة في التعرف الى علاقة الرسول بالوحي ظهرت لدى الصحابة انفسهمباعتبارهم شاهدين مباشرين على التنزيل. ولذلك تمنى بعضهم معاينة الوحي قائلا: ((ليتني ارى رسول اللّهغ حين ينزلعليه الوحي)) ((189)) .

وفعلا فقد انصرف المفسرون وعلماء القرآن الى دراسة هذا المبحث بمناسبة نظرهم في اسباب نزول القرآن. ونقلوا نصوصامصورة لحال الرسول عند نزول الوحي عليه بعد ما يلقى عليه من اسئلة او اثر ما يحصل في واقع المجتمع وقتئذ مناحداث ونوازل تستدعي حكما او بيانا قرآنيا. وبالامكان الالمام بحال الرسول تلك عبر المستويين التاليين:

المشاعرالنفسية، والعلامات الجسدية.

1- المشاعر النفسية تضمنت بعض اخبار اسباب النزول اشارات الى الحالة النفسية التي يكون عليها الرسولغ حين يفاجئه الوحي. من ذلكشعوره بالشدة والتوتر النفسي. وهذا ما ينقله الطبري عند تناوله سبب نزول الايتين الاولى والثانية من سورة الفتح (45)، اذيقول عبد الله بن مسعود متحدثا عن الرسول: ((فبينا نحن نسير اذ اتاه الوحي)). وكان اذا اتاه اشتد عليه. فلما سري عنهاخبرنا انه انزل عليه: (انا فتحنا لك فتحا مبينا # ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطامستقيما(ووجد القدامى ما يؤكد هذا الشعور بالشدة التي تنتاب الرسول في قول ابن عباس متحدثا عن سبب نزول الايتين 16 و17 من سورة القيامة (75): ((كان رسول اللّهغ يعالج من التنزيل شدة.

وكان مما يحرك شفتيه. فانزل الله تعالى:

(لا تحرك به لسانك لتعجل به (#) ان علينا جمعه وقرآنه) على ان هذا الشعور النفسي بالشدة، قد يكون اخف وطاة على الرسول من ذلك الاحساس بالرعب والفزع الذي الم به اولعهده بالوحي. فلم تعتد نفسه وقتئذ على خوض مثل هذه التجربة المفارقة. وفي ذلك يقول الرسول مشيرا الى سبب نزولالايات الخمس الاولى من سورة المدثر (74): ((بينما انا امشي، اذ سمعت صوتا من السماء. فرفعت بصري، فاذا الملكالذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض. فرعبت منه. فرجعت. فقلت: زملوني...)) ((190)) .

تخلص الرسول من الحالات الشديدة عند نزول الوحي والظاهر في طور الوحي المدني، اي بعد مرور اكثر من عقد على بدء تلقيه الرسالة. وربما استبد به شعور خاص لا يعكسمعاناة نفسية بقدر ما يعبر عن لذة خاطفة مرغوب فيها.

ولناخذ شاهدا على ذلك وصف عائشة لحال الرسول عند نزولالايات (11 22) من سورة النور (24): ((فشخص بصر رسول الله الى السقف. وكان اذا انزل عليه وجد)) ((191)) .

والذي وقر في اذهان القدامى ان في لوذ الرسول بالصمت برهة اثر سؤال يوجه اليه امارة على تلقيه الوحي. اذ يكون فيتلك اللحظة منشغل البال والخاطر. وهذا ما استنتجه عبد الله بن مسعود عند سبب نزول الاية 85 من سورة الاسراء (17):((بينا مع النبى(ص) في حرث، وهو متكئ على عسيب، اذ مر اليهود.

فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح. فقال: ما رابكم اليه وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشي تكرهونه فقالوا: سلوه، فسالوه عن الروح. فامسك النبى(ص) فلم يرد عليهم شيئا.فعلمت انه يوحى اليه. فقمت مقامي. فلما نزل الوحي قال:

(ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا).

العالم الداخلي للرسول هذه اذن اهم المشاعر النفسية التي لاحظها الصحابة على الرسول او عبر عنها هو ذاته في عملية تقبل التنزيل. ولما كانتهذه المشاعر متصلة في الغالب بالعالم الداخلي للرسول، فانه يصعب احيانا على الصحابة رصدها او الانتباه اليها.

ولذلكتركز اهتمامهم على ما يبدو على الرسول من علامات جسدية تشير في تقديرهم الى طبيعة الوضع الخاص الذي يكونعليه لحظة تقبل الوحي.

2- العلامات الجسدية:

احتفظت لنا مجاميع الحديث وكتب التفسير ومصنفات علوم القرآن بشهادات للصحابة تصف العلامات الجسدية البادياعلى الرسول حينما ينزل عليه الوحي. وكان الخوض في اسباب النزول مناسبة لنقل تلك الشهادات على فرض حقيقتهاالتاريخية. ولعل من ابرز الاعراض التي كانت تظهر على الرسول في ذاك الظرف الاستثنائي تصبب العرق، وهو علامةمادية على المكابدة التي يلقاها والمشقة التي تعتريه عند تلقيه الوحي. وقد راجت عند القدامى الرواية المنسوبة الى عائشةالتي تصف فيها حال الرسول لحظة نزول الوحي عليه قائلة: ((فوالله ما رام رسول اللّهغ منزله ولا خرج من اهل البيت احدحتى انزل الله تعالى على نبيهغ فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء ((192)) عند الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان منالعرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه من الوحي...)) ((193)) . وتؤدي به هذه الحالة، في الغالب، الى الشعوربالارتعاد.

فمما ترويه خولة خادم النبي، في سياق حديثها عن سبب نزول سورة الضحى (93) قولها: ((فجاء نبي الله ترعد لحياه آوكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال: يا خولة ((دثريني)) ، فانزل الله هذه السورة)) ((194)) .

حالات اخرى للرسول اثناء نزول الوحي وعثرنا في اخبار اسباب النزول على صورة اخرى عن حال الرسول متمثلة في احمرار وجهه او اصفراره في بعضالروايات وتربده ((195)) . وعادة ما تكون هذه الحال مقدمة لما ينتاب الرسول من غشي او سبات ربما يستغرق ساعةمن الزمان. فهذا عبادة بن الصامت (ت 34ه) يقول:

((كنا جلوسا عند النبى(ص) اذ احمر وجهه. وكان يفعل ذلك اذا نزل عليهالوحي. فاخذه كهيئة الغشي لما يجد من ثقل ذلك)) ((196)) . ولم يبعد الرازي عن هذه الصورة في وصف تقبل النبي للوحي.فقد ((كانت تغشاه حالة عجيبة عند نزول الوحي، فيتغير وجهه ويصفر لونه وتعرض له حالة شبيهة بالغشي)) ((197)) .

وقد ينزل الوحي على الرسول دون ان يلم به من الاعراض سوى ما ياخذه من نوم خفيف لا يجد فيه معاناة. وفي ذلكيقول انس بن مالك واصفا حال الرسول عند نزول سورة الكوثر: بينما نحن عند رسول اللّهغ اذ اغفى اغفاءة. ثم رفع راسهمتبسما. فقلنا: ما اضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت على آنفا سورة. فقرا: (بسم الله الرحمن الرحيم (#) انا اعطيناكالكوثر).

وضع يد الرسول على جبهته:

ويدرك الصحابة وقت تقبل الرسول للوحي من علامات اخرى غير ما ذكرن، من قبيل وضع يده على جبهته. وهذا مايرويه عبد الله بن مسعود ذاكرا سبب نزول الاية 85 من سورة الاسراء (17) ((198)) ، او من نحو شخوص بصره. ودوننا‌قول ابن عباس متحدثا عن سبب نزول الاية 90 من سورة النحل (16): بينما رسول اللّهغ بفناء بيته بمكة جالس، اذ مر بهعثمان بن مظعون، فكشرالى رسول اللّهغ. فقال له: الا تجلس؟ قال: بلى. فجلس اليه مستقبله. فبينما هو يحدثه اذ شخصبصره الى السماء.

فنظر ساعة واخذ يضع بصره حتى وضع على يمينه في الارض، ثم تحرف عن جليسه عثمان الى حيثوضع بصره. فاخذ ينغض ((199)) راسه كانه يستفقه ما يقال له، ثم شخص بصره الى السماء كما شخص اول مرة. فاتبعهبصره حتى توارى في السماء.

واقبل على عثمان كجلسته الاولى. فقال: يا محمد، فيما كنت اجالسك وآتيك، ما رايتكتفعل فعلتك الغداة. قال: وما رايتني فعلت؟ قال: رايتك تشخص بصرك الى السماء، ثم وضعته حين وضعته على يمينك،فتحرفت اليه وتركتني... قال: اوفطنت الى ذلك؟ قال عثمان: نعم. قال: اتاني رسول الله جبريل آنفا وانت جالس. قال:رسول الله؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟ قال: قال لي:

(ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون).

قال عثمان: فذلك حين استقر الايمان في قلبي واحببت محمد ((200)) .

استغراب الرسول يستفاد من هذا الشاهد ان الرسول يكون غير واع بما يبدو منه من افعال او ما ياتيه من تصرف لحظة اتصال جبريل بهوتبليغه الوحي. ولذلك استغرب الرسول من تفطن عثمان بن مظعون (ت 2ه) الى الحالة التي كان عليها وقتئذ.

ويمكن ان تتحول معاينة الصحابي لنزول الوحي على الرسول الى احساس شخصي مباشر ينسجم مع التصور القديملمفهوم الوحي. وفي هذا السياق يقول زيد ابن ثابت اثناء سرده سبب نزول الاية 95 من سورة النساء (4) « : ((... فانزل اللّهعلى رسولهِ(ص) وفخذه على فخذي. فثقلت على حتى خفت ان ترض فخذي، ثم سري عنه، فانزل الله...)) ((201)) .

ولا يقتصر هذا الاحساس بثقل الوحي على عالم الانسان، وانما يشمل ايضا عالم الحيوان. من ذلك مثلا ان الاية الثالثة منسورة المائدة ((202)) ((نزلت في يوم الجمعة، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر، ورسول اللّهغ واقفـبعرفة على ناقته العضباء. فكاد عضد الناقة ينقد من ثقله، فبركت)) ((203)) . ومما يؤكد الوجود المادي للوحي من منظورالقدامى ان النبي مثلما يقول عمر بن الخطاب ((اذا انزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل. وانزل عليه يوما.فمكثنا ساعة. فسريعنه...)) ((204)) .

هذه اذن نماذج ممثلة للحال التي يكون عليها النبي عند تقبله الوحي استقيناها من اخبار اسباب النزول. والمؤكد انالمفسرين والمحدثين وعلماء القرآن قد قبلوها على علاتها بما ان رواتها من الصحابة الذين شاهدوا بحضورهم على نحوما يرويه ابو هريرة: ((كنا جلوسا عند النبى(ص)، فنزلت عليه سورة الجمعة))((205)) ، و... .

صور القدامى لحظة نزول الوحي ويحسن بنا بعد هذا العرض ابداء ملاحظات واستنتاجات في شان الصورة التي رسمها القدامى للرسولغ لحظة نزول الوحيعليه. ويشغلنا في هذا المقام سؤال مهم: ما الذي يبرر اهتمامهم بوصف حال النبي في تلك اللحظة؟ لعلنا لا نبعد لو قلنا ان الاجيال الاسلامية التي اعقبت جيل الصحابة حرصت على استعادة طور متميز من مسار الاسلامكان فيه الحوار بين الوحي والتاريخ قائما. غير ان هذه الاستعادة لم تنفك وانى لها ذلك عن المؤثرات الثقافية والمعرفيةوالاجتماعية التي طبعت المجتمعات التالية لمجتمع الدعوة. ولذلك، فان ما نقله لنا المفسرون وعلماء القرآن وعلماءالحديث عن حال الرسول انما يعكس، عند الفحص، تمثلا معينا لذاك الطور المتميز. ومن ابرز خصائص هذا التمثل ان فهمالوحي فهما ماديالا مجازيا ((206)) .

وعندئذ تحدثوا عن ثقله ((207)) وشدته على النبي، والذي بدا في نظرهم كانه يعانيمن حالة مرضية ((208)) .

هيئة النبي اثناء نزول الوحي وجلى بعد هذ، ان الهيئة التي يكون عليها النبى(ص) في لحظات تقبل الوحي لم تكن غريبة عن مجتمع يسكنه المقدسبشتى اشكاله، ويغلب عليه الاعتقاد في الكائنات اللامرئية وما تمارسه من سلطان على البشر. فحالة الغشي التي تنتابالرسول تذكر دون شك بما يصدر عن الكاهن مثلا من افعال حين يستبد به تابعه ((209)) ، او عندما يسكنه الجن.

ولذلكوصفه ((كفار قريش)) بالمجنون، ورموه بممارسة السحر والكهانة. ولكن القرآن براه من ذلك كله: (فذكر فما انت بنعمةربكبك اهن ولا مجنون).

ولا مناص لنا من التذكير بان الصورة التي تمثلها القدامى عن الرسول عند تلقي الوحي تضارع على نحو ما صورة انبياءبني اسرائيل لحظة انكشاف الاله لهم، فياخذ منهم الخوف والرعب ماخذا. فهذا النبي اشعياء يقول: ((... لذلك امتلاتحقوای وجعا واخذني مخاض كمخاض الوالدة. تلويت حتى لا اسمع.اندهشت حتى لا انظر. تاه قلبي، وبغتني رعب...))((210)) .

وهذا النبي دانيال يصف حاله عند رؤيته الملاك: ((... لم تبق فى قوة ونضارتي تحولت فى الى فساد، ولم اضبطقوة. وسمعت صوت كلامه. ولما سمعت كلامه كنت مسبخا ((211)) على وجهي، الى الارض. واذا بيد لمستني واقامتنيمرتجفا على ركبتى وعلى كفي يدى)) ((212)) نتيجة البحث والحاصل من ذلك كله ان حديث القدامى عن حال الرسول عند تقبل الوحي استنادا الى روايات اسباب النزول لا اساس لهمن الصحة التاريخية. والذي يقوي طعننا في تلك الروايات حجتان.

الاولى: وهي الاهم مفادها ان القرآن نفسه لم يصف البتة حال النبي لحظة نزول الوحي عليه ((213)) .

والثانية: ان بعض الروايات المندرجة في هذا المبحث قد اسندت بالاساس الى عائشة وابن عباس. وقد اوضحنا سابقاانهمالا يعدان شاهدين حقيقيين على الوحي المحمدي برمته. ولذلك فان ما يقوله ابن عباس عن الرسولغ عند نزول الايةالتسعين من سورة النحل (16) ليس له قيمة تاريخية بما ان هذه السورة مكية. ولا يمكن، في الاحوال كله، ان يكون سنابن عباس عند نزول السورة اكثر من ثلاث سنوات مما يجعله غير مؤهل بالمرة لوصف حال الرسول.

وحتى اذا افترضنا ان ما وصف به النبى(ص) صحيح وسلمنا بحقيقة المرويات المنسوبة الى الصحابة، فان ذلك يصطدم بما ينبغي ان يكون عليه المتلقي للوحي من ثبات وهدوء نفسي حتىيستوعب التنزيل ويتمكن من تبليغه بتمامه دون تصرف في صياغته بالزيادة او بالنقصان، مثلما يعتقد الموقف السني.فالحالة التي يكون عليها النبي من غشي او سبات او شخوص بصر تتعارض ومقتضيات التبليغ وشروطه الاحتراز عن هذه الروايات. ((214)) لذلك يحق لنا الاحتراز من هذه الاخبار، سواء اصدرت عن بعض الصحابة ام نسبت اليهم في عصر تال لعصرهم. فلا شيءيثبت صحتها التاريخية. واقصى ما يمكن ترجيحه في هذا الباب ان الرسولغ يكون في وضع خاص لا نستطيع وصفه اوتحديده عند تلقي الوحي. والمؤكد ان النبي، شانه في ذلك شان سائر الانبياء المرسلين، عاش تجربة فريدة اسست لآ((حدث تدشيني)) ((215)) متميز عملت الاجيال الاسلامية على استعادته، واعتقدت بانها تعيد بناء المرجع التاريخيللوحي.

ثانيا الفاصل الزمني بين وقوع السبب ونزول الوحي ما يعنينا من هذا البحث محاولة تبين الفاصل الزمني بين السبب سواء من جهة حدوثه في الواقع التاريخي ام من جهةعلم الرسول به ونزول الوحي الموافق له استنادا الى اخبار اسباب النزول. وامكن لنا رصد ضربين محددين للعلاقةالزمنية بين السبب ونزول الوحي، هما: التعاقب الفوري، والتباعد الزمني. وقد اعتمدنا في التمييز بين هذين الضربين جملةمن القرائن اللغوية الواردة في الاخبار. ولذلك لم نكتف بما يدل عليه حرف ((الفاء)) سياقيا في تركيب تواتر كثيرا فيالاخبار هو ((... فانزل الله تعالى...)) اذ يشير هذا الحرف الى معان عديدة في سياق استعماله من قبيل تعيين ما ترتب علىالسبب او الاسباب من نازل ومن سرعة نزول الوحي عقيب السبب او من معنى التراخي بين السبب حدوثا والوحي المنزلفي شانه.

1- التعاقب الفوري رشحت اسباب النزول بما يشير الى ضمور الفاصل الزمني بين حدوث السبب ونزول الوحي المتعلق به. ويكاد يتحول هذاالضمور الى تزامن بين الطرفين في التحقق التاريخي. ولنا على ذلك شواهد عديدة منها ما يرويه ابن عباس عن سبب نزولالاية 36 من سورة الاحزاب (33) قائلا: ((ان رسول اللّهغ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة. فدخل على زينب بنتجحش الاسدية فخطبها. فقالت: لست بناكحته. فقال رسول اللّهغ: فانكحيه. فقالت: يا رسول الله اؤامر في نفسي؟ فبينماهما يتحدثان انزل الله هذه الاية على رسوله: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة منامرهم ومن يعص اللّهو رسوله فقد ضل ضلالا مبينا ((216)) .

ولا شك في ان سرعة نزول الوحي كان لها اثر عميق في اثناء زينب بنت جحش عن قرارها بعدم نكاحها من زيد بنحارثة (ت 8 ه). وفضلا عن ذلك فان سرعة نزول الوحي تؤكد صواب راي النبي في خصوص هذا النكاح.

حينما لا يمتلك الرسول جوابا عن مسالة وقد يتحقق التعاقب الفوري بين السبب ونزول الوحي حين لا يملك الرسول جوابا عن مسالة م، فيتعذر عليه حينئذ ابداءموقفه منها. وهذا ما تشف عنه قصة نزول الاية الاولى من سورة المجادلة (58). اذ تقول عائشة: ((... اني لاسمع كلام خولةبنت ثعلبة ويخفى على بعضه، وهي تشتكي زوجها الى رسول اللّهغ، وهي تقول: يا رسول الله، ابلى شبابي، ونثرت له بطنيحتى اذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني. اللهم اني اشكو اليك، قال: فما برحت حتى نزل جبريل(ع) بهذه الايات:

(قدسمع اللّهقول التي ت جادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير))(62).

وتكون استجابة الوحي فورية حتى في القضايا المتعلقة بالعلاقات الاجتماعية، مما يقتضي نزول آيات لها معان تشريعية.وهذا ما ينطبق مثلا على سبب نزول الاية: (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربعشهادات باللّها نهلمن الصادقين) من ذلك قول هلال بن امية: ((يا رسول الله اني وجدت مع امراتي رجلا رايت بعيني وسمعت باذني)). فكره رسول اللّهغ ماجاء به. فقال هلال: والله انني لارى الكراهة في وجهك مما اخبرتك به والله يعلم اني لصادق وما قلت الا حقا. فقال رسولاللّهغ: اما البينة، واما اقامة الحد عليك. فاجتمعت الانصار... فبينما هم كذلك اذ نزل عليه الوحي. وكان اذا انزل عليه الوحياربد وجهه وعلا جسده حمرة. فلما سري عنه قال(ع) : ابشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا...)) ((217)) يوم بدر ويبدو ان سرعة نزول الوحي عقيب السبب حسمت الخلاف الذي نشب بين المقاتلين المسلمين يوم بدر. اذ اختصموا الىالنبي في الغنائم. وفي ذلك يقول الصحابي عبادة بن الصامت (ت 34هـ):

((لما هزم الله العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم واحدقت طائفة برسول اللّهغ واستولت طائفة على العسكر والنهب.فلما نفى الله العدو ورجع الذين يطلبونهم قالوا: لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم. وقال الذين احدقوابرسول اللّهغ: والله ما انتم باحق منا. نحن احدقنا برسول اللّهغ لا ينال العدو منه غرة، فهو لن، وقال الذين استولوا علىالعسكر والنهب:

والله ما انتم باحق به منا. نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا.

فانزل الله تعالى: (يسالونك عن الانفال)(الانفال: من الاية1) ((218)) سرعة نزول الوحي ومما يدل على سرعة نزول هذه الاية بسبب آخر ورد في شانها رواه سعد بن ابي وقاص (ت 55ه) قائلا: ((لما كان يومبدر قتل اخي عمير. فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه.

فاتيت به النبى(ص). فقال: اذهب فاطرحه في القبض.

فرجعتوبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي. فما جاوزت الا يسيرا حتى نزلت سورة الانفال. فقال لي النبى(ص) اذهبفخذ سيفك)) ((219)) .

وقد تاتي الاجابة الفورية للوحي استدراكا على نازل سابق من خلال ما ينشا بين القرآن ومجتمع الدعوة من حوار علىنحو ما حدث به البراء بن عازب في شان سبب نزول جزء من الاية 95 من سورة النساء (4)، اذ يقول: كنت عند رسولاللّهغ. فقال: ادع لي زيدا وقل له ياتي، او يجي بالكتف والدواة، او اللوح والدواة...

ليكتب: (لا يستوي القاعدون منالمؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدينبا موالهم وانفسهم علىالقاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما((النساء:95).

فقال ابن ام مكتوم: يا رسول الله، ان بعيني ضرر، فنزلت قبل ان يبرح: (غير اولي الضرر).

نزول الاية دون معرفة سببها! وقد تبلغ سرعة نزول الوحي مبلغا لا يتصوره الرسولغ نفسه.

من ذلك ان الاية 28 من سورة المطففين نزلت عليه ولمايبلغه سببها. بل نكاد نقف في هذا المثال على تزامن حقيقي بين وقوع السبب ونزول الوحي الموافق له. وهذا ما يبينه قولالامام فخر الدين الرازي: ((جاء على(ع) في نفر من المسلمين. فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا. ثم رجعوا الىاصحابهم.

فقالوا: راينا اليوم الاصلع. فضحكوا منه. فنزلت هذه الاية قبل ان يصل على الى رسول اللّهغ ((220)) تؤكد هذه الامثلة وغيرها ((221)) التعاقب الفوري بين حصول السبب ونزول الوحي المتعلق به. ولنا ان نسال عن دلالاتهذه الظاهرة، وعن قيمتها في اخبار اسباب النزول، وفي تصور القدامى للوحي والنبوة.

ان النزول الفوري للوحي عقيب الاسباب الواقعة في التاريخ او اثر علم الرسول به، يجعل من الوحي تابعا او قل خاضعاللاسباب والحوادث خضوعا تام، وهو ما يعني غياب العلاقة الجدلية التي كانت موجودة على عهد النبي بين الوحيوالتاريخ. ويعني ذلك كله ان الوحي، بالشكل الذي قدمته لنا اخبار اسباب النزول، ينزل على المقاس بيانا للمشكل

اوتعديلا لراي او تفنيدا لموقف او تاييدا لاجتهاد، كان الوحي، بهذا المعنى، ينتظر حصول الاسباب في الواقع التاريخي كيينزل.

حدوث الاسباب ونزول الوحي والذي يبدو لنا ان جل الاخبار التي تحقق فيها التعاقب الفوري بين حدوث الاسباب ونزول الوحي اظهرت موقفينللرسول ازاءها:

الموقف الاول: كان فيه محمد غير قادر على البت في ما يعرض عليه من مسائل. فما ان يلوذ بالصمت والترقب حتى ياتيهالوحي منجدا.

اما الموقف الثاني: فنرى فيه الرسول مجتهدا برايه في التماس اجوبة عن بعض القضايا. وعندما يكون اجتهاده غير مصيبيسعفه الوحي سريعا بالحكم الموافق للسبب. ونعتقد ان الغاية من تشديد المفسرين وعلماء القرآن على نزول الوحي اثرالاسباب مباشرة هي تلافي تقدير الرسول في ما يصدر عنه من اقوال او مواقف. ذلك ان تاخر نزول الوحي في مثل هذهالحالات قد يفضي الى العمل باجتهاداته، وهو ما يتعارض مع فهم القدامى للنبوة باعتبار ان النبي معصوم من الخطا.

ومهما يكن من امر، فان القرائن اللغوية الدالة على التعاقب الزمني بين السبب والوحي لا تشير باطلاق الى واقع تاريخيحاصل، بل تعكس تصور القدامى لعلاقة الرسول بالوحي.

ولذلك لاحظنا ان تلك القرائن تذكر في بعض روايات سببنزول الاية، وتغيب عن روايات اخرى متعلقة بالاية ذاتها ((222)) . ومن ثم لا يستبعد ان تكون هذه العلامات اللغويةالمبينة للتعاقب في الحدوث بين السبب والوحي من وضع الرواة وعلماء القرآن والمفسرين متى سلمنا بوجود اسبابتاريخية استدعت نزول عدد من اي القرآن.

2- التباعد الزمني:

ميزت صفة ((التباعد)) العلاقة الزمنية بين حصول السبب ونزول الوحي. وهذا ما توضحه بعض اخبار اسباب النزول.

فقديقع السبب ويعلم به الرسولغ، ولكن يبقى المشكل المعروض عليه معلقا ينتظر جوابا. وفي هذه الحالة يشق الامر عليه،لان ذلك يوفر حجة للخصوم للطعن في نبوته وفي حقيقة تلقيه الوحي من جبريل. ويقصر مدى هذا التباعد او يطولبحسب الوضع الخاص الذي يكون عليه الرسول لحظة وقوع السبب.

ومما يدخل في هذا الباب ما رواه بعض التابعين عن احتباس ((جبريل عن النبى(ص) حين ساله قومه عن قصة اصحابالكهف، وذي القرنين، والروح، ولم يدر ما يجيبهم.

ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه عنه. فقال عكرمة: فابطا عليهاربعين يوما. وقال مجاهد: اثنتي عشرة ليلة. وقيل: خمسة عشر يوما. وقيل: ثلاثة عشر. وقيل: ثلاثة ايام. فقال النبى(ص):ابطات على حتى ساء ظني واشتقت اليك. فقال جبريل(ع): اني كنت اشوق، ولكني عبد مامور واذا بعثت نزلت، واذاحبست احتبست. فنزلت الاية: (وما نتنزل الا بامر ربك) (مريم: 64). وانزل: (والضحى # والليل اذا سجى # ما ودعكربك وما قلى((الضحى: 13) ((223)) .

حديث الافك وقد يشتد انقطاع الوحي على نفس الرسول ((224)) ، حينما يتعلق السبب بتهمة خطيرة رميت بها عائشة. وهذا ما تناولهالمفسرون وعلماء القرآن بتوسع في حديث الافك الذي كان سببا في نزول الايات (11 22) من سورة النور (24).

فمماقالته عائشة بعد ان اوشك الاوس والخزرج على الاقتتال بسبب اعتذار الرسول من عبد الله ابن ابى: ((... وبكيت يومي‌ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم، وابواي يظنان ان البكاء فالق كبدي... فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي‌استاذنت‌على امراة من الانصار. فاذنت لها وجلست تبكي معي ... فبينما نحن على ذلك، اذ دخل علينا رسول اللّهغ ثم‌جلس ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل. وقد لبث شهرا لا يوحى اليه في شاني شي)) ((225)) .

نزول الوحي مرتين في حادثة واحدة ويحدث ان تعظم الهوة الزمنية بين حدوث السبب ونزول الوحي، فتقدر بسنة كاملة. فحسب ما يروي علي بن ابي‌طالب(ع) متحدثا عن الاية 101 من سورة النساء: سال قوم من التجار رسول اللّهغ، فقالوا: يا رسول الله، انا نضرب في‌الارض فكيف نصلي؟ فانزل الله: (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم‌جناح ان تقصروا من الصلاة).

ثم انقطع الوحي. فلما كان بعد ذلك بحول، غزا النبى(ص) فصلى الظهر، فقال المشركون: لقد امكنكم محمد واصحابه من‌ظهورهم. هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: ان لهم اخرى مثلها في اثرها. فانزل الله تبارك وتعالى بين الصلاتين:

(ان‌خفـتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا((النساء: 101).

فهذا الخبر يبين ان الوحي قدم، في مرحلة اولى، اجابة جزئية عن السؤال الملقى على الرسول. ثم انقطع الوحي.

وعندماهم((اهل الشرك)) بما هم وا به من غدر بالرسول وباصحابه، نزل، في مرحلة ثانية، تمام الاية. وغير خاف ان القول بوجودفاصل زمني بين قسمي الاية مقدر بحول لا يمكن قبوله، لان دلالة الاية وتركيبها النحوي لا يستجيبان للفصل الذي مال اليه المفسرون وعلماء القرآن في ما ارتضوه من سبب نزول ((226)) .

امتحان الرسول وما نود بيانه ان القدامى التمسوا فيهذا التباعد الزمني فائدة مهمة هي اثبات قدرة النبي على مواجهة ما يعرض له من عقبات او مسائل يستعصي عليه حلها رغم ما في العملية من مشقة على النفس. فهذا التباعد اذن يشكل اختبارا حقيقياللرسول وامتحانا له في تبليغ الرسالة.

النتيجة ان ما نخرج به بعد استعراضنا للشكلين المعبرين عن الفاصل الزمني بين وقوع السبب ونزول الوحي رغبة المفسرين وعلماء القرآن في الالمام بدقائق الوحي كلها من جهة التقبل. واثبتوا، فيهذا المقام، غلبة التعاقب الفوري بين السبب والوحي الموافق له ((227))، وهو ما ينسجم مع تصورهم لانزال القرآن من ((اللوح المحفوظ)). فالقرآن، في تقديرهم، انزل دفعة واحدة الى السماء الدنيا، ثم نزل منجما بحسب النوازل والحوادث ((228)) . ويعني ذلك كله ان الاسباب التاريخية المباشرة للتنزيل اخرجت القرآن من وجود اول كامن الى وجود ثان ظاهر.وعلى هذا النحو اسس القدامى منظومة عن الوحي والنبوة منسجمة العناصر توافق فيها مقدماتها ومسلماتها غاياتهاومقاصدها. ولكن متى انعمنا النظر في حقيقة هذا الانسجام وتدبرنا مرجعيته المعرفية، بان لنا انسجاماشكليا .

ثالثا اهم وظائف الوحي من خلال اخبار اسباب النزول ان الاصل في الوحي ان ينزل بيانا لقدرة الله وارادته وتذكيرا بوعده ووعيده واخبارا بتاريخ الامم الماضية مع انبيائها، الخ.ويبدو ان جل ما نزل فيهذه المواضيع لم تستدعه اسباب تاريخية مباشرة. ولذلك غلبت على اسباب النزول مباحث تصف علاقة الرسول بصحابته وبخصومه من قريش واهل الكتاب، فضلا عما له صلة بسيرته ومغازيه. وفيهذا السياق بداالوحي في تصور القدامى له ناهضا بوظائف اهمها: الوظيفة التاديبية، والوظيفة التبريرية 1 الوظيفة التاديبية:

تتمثل هذه الوظيفة في نزول الوحي تفنيدا لموقف او راي اعتقد الرسول غ صوابه. وهذا ما يجلوه مثلا سبب نزول الاية 34من سورة النساء، اذ يقول مقاتل بن سليمان: ((نزلت هذه الاية في سعد بن الربيع، وكان من الاتقياء، وامراته حبيبة بنت زيدبن ابي زهير وهما من الانصار. وذلك انها نشزت عليه فلطمها. فانطلق ابوها معها الى النبى(ص). فقال: افرشته كريمتي فلطمها! فقال النبى(ص): ارجعوا، هذا جبريل(ع) اتاني. وانزل الله تعالى هذه الاية. فقال رسول اللّهغ: اردنا امرا واراد الله امرا، والذي اراد الله خير. ورفع القصاص)) ((229)) .

فقد انتصر الرسول لبنت زيد واذن لها كي تقتص من زوجها. الا ان اجتهاده فنده الوحي بسرعة داعيا الى علاقة اجتماعية يكون فيها الرجال قوامون على النساء. والواضح، هاهنا، ان مجتمع الدعوة لم يكن مهيا لقبول راي الرسول. ذلك ان الاعراف الاجتماعية السائدة وقتئذ والنظام التراتبي الذي يخضع له المجتمع من جهة العلاقات بين الرجل والمراة كانت تحول دون اعطاء الحق للمراة في الاقتصاص من الرجل. وهذا ما يفسر تخلي الوحي عن تصور للعلاقات الاسرية سابق لعصره ((230)) .

حكم الرسول لولا الوحي وكاد الرسول غ يحكم برايه دون تحكيم كتاب الله حينما اراد البت في قضية سرقة عرضت عليه. ((ذلك ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق، احد بني ظفر بن الحارث سرق درعامن جار له يقال له: قتادة بن النعمان. وكانت الدرع في جراب فيه دقيق. فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب، حتى انتهى الى الدار وفيها اثر للدقيق. ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له: زيد بن السمين. فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما اخذها وما له بها من علم.

فقال اصحاب الدرع: بلى والله لقد ادلج علينا فاخذها. وطلبنا اثره حتى دخل داره. فراينا اثر الدقيق. فلما ان حلف تركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوه.

فقال: دفعها الى طعمة بن ابيرق. وشهد له ناس من اليهودعلى ذلك. فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا الى رسول اللّهغ. فكلموه في ذلك وسالوا ان يجادل عن صاحبهم.وقالوا: ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي، حتى انزل الله تعالى: (انا انزلنا اليك الكتاب بالحق) (النساء:105) ((231)) .

وكانت للرسول اجتهادات غير مصيبة في قرارات عديدة لها ارتباط متين بمغازيه والمواجهات بينه من جهة وبين قريش واليهود من جهة اخرى. وقد يتوفر له اكثر من حل لمجابهة وضع ما، وهذا ما حصل له في معركة بدر مع الاسرى.

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر (ت 73ه) مبينا سبب نزول الاية 67 من سورة الانفال(8): ((استشار رسول اللّهغ في الاسارى ابا بكر. فقال: قومك وعشيرتك، خل سبيلهم، واستشار عمر فقال: اقتلهم. ففداهم رسول اللّهغ. فانزل الله تعالى:

(ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض).

واعترض الوحي على النبي حين اذن ((للمنافقين)) بالقعود وعدم الخروج الى الجهاد مما كان سببا في نزول الاية 43 من سورة التوبة ((232)) . وربما لم يحسن النبي ايضا معاملة بعض اصحابه مثلما حصل له مع ابن ام مكتوم (ت 23هـ).

فادى ذلك الى نزول الايتين الاولى والثانية من سورة عبس . ((233)) وهناك راي آخر يتبناه الشريف المرتضى، واكثر الشيعة، ما روي عن الامام الصادق(ع): ((انها نزلت في رجل من بني امية،كان عند النبى(ص) فجاء ابن ام مكتوم، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك،وانكره عليه)) ((234)) .

((ان الرواية المنسوبة الى الامام الصادق(ع) في ان الحديث عن رجل من بني امية، لا تتناسب مع اجواء الايات، لان الظاهرمن مضمونها ان صاحب القضية يملك دورا رساليا، ويتحمل مسؤولية تزكية الناس)) ((235)) .

2- الوظيفة التبريرية:

ينزل الوحي احيانا لتبرير قول او سلوك ياتيه الرسول غ او بعض صحابته. ويتم ذلك من احد طريقين: التعليل او الاثبات.فمن امثلة التبرير الحاصل من طريق التعليل خبر سبب نزول الاية 52 من سورة الحج (22) في قصة معروفة عند القدامى بقصة ((الغرانيق العلى))، وفيها ثلاثة آراء:

الراي الاول: فعندما ((راى رسول اللّهغ تولي قومه عنه، وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به، تمنى في نفسه ان ياتيه من الله تعالى ما يقارب به بينه وبين قومه، وذلك لحرصه على ايمانهم. فجلس ذات يوم في ناد من اندية قريش كثيراهله، واحب يومئذ ان لا ياتيه من الله شي ينفرون عنه.

وتمنى ذلك. فانزل الله تعالى سورة: (والنجم اذا هوى(.

فقراها رسول اللّهغ حتى بلغ: (افرايتم اللات والعزى (#) ومناة الثالثة الاخرى).

القى الشيطان على لسانه لما كان يحدث به نفسه ويتمناه:

((تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى)). اي: انهن طيورجميلة ذات منزلة رفيعة، ومنها ترتجى الشفاعة ((236)) . فلما سمعت قريش ذلك فرحوا. ومضى رسول اللّهغ في قراءته.فقرا السورة كلها، وسجد في آخر السورة. فسجد المسلمون لسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين ...وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا، وقالوا: قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر ... هذه تشفع لنا عنده. فان جعل لها محمدنصيبا فنحن معه. فلما امسى رسول اللّهغ اتاه جبريل(ع). فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن اللّهسبحانه، وقلت ما لم اقل لك. فحزن رسول اللّهغ حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كبيرا. فانزل الله هذه الاية:

(وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم اللّهآياته والله عليم حكيم) (الحج:52) ((237)) .

الراي الثاني: انكار هذه الحادثة مطلقا، وجعلها من الاساطير والخرافات او الاسرائيليات في التفسير، يقول صاحب تفسيرالامثل:

((ذكر الباحثون ضعف رواته وعدم الثقة بهم، ولا دليل على انه من رواية ابن عباس)) ((238)) .

الراي الثالث: ان النبى(ص) كان يتلو سورة النجم وبلغ (افرايتم اللات والعزى # ومناة الثالثة الاخرى(استغل بعض المشركين المعاندين هذه الفرصة فنادى بلحن خاص: ((تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى)) فاشكلوا على الناس بالتشويش على كلام الرسول ((239)) تبرير الرسول اما التبرير من جهة الاثبات، فمثاله ما يرويه عبد الله بن مسعود عن سبب نزول الاية 68 من سورة الفرقان (25)، اذ يقول:((سالت رسول اللّهغ: اي الذنب اعظم؟ قال: ان تجعل لله ندا وهو خلقك. قال: قلت: ثم اي؟ قال: ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك. قال: قلت: ثم اي؟ قال: ان تزاني حليلة جارك.

فانزل الله تعالى تصديقا لذلك: (والذين لا يدعون مع الله ال هاآخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما) (الفرقان:68).

ففيهذه الحالة وافق قول الرسول غ منطوق الوحي. ذلك ان وجوه ارتكاب الذنب، حسب الرسول، ثلاثة: الشرك بالله،والقتل بغير وجه حق، والزنى. وهذه الوجوه الثلاثة تضمنتها الاية من خلال تكرر ثلاثة افعال منفية هي: ((لا يدعون))، و((لا يقتلون))، و ((لا يزنون)).

وجلى ان الوظيفة التبريرية التي علقها المفسرون وعلماء القرآن بالوحي لم تقتصر على اجتهادات الرسول، وانما تعدتها الى ما سيؤسس لمبحث من مباحث علوم القرآن، ونعني به ((مبحث الموافقات)). وانموذجه المشهور عندهم ((موافقات عمر))((240)) . ولئن اقتصرت تلك الموافقات على اقوال نطق بها عمر فكرسها الوحي قرآنا، فان الرجل اتى افعالامنافية مثلا لبعض احكام الصوم مما ادى الى نزول آية الرخصة: (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وان تم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلواواشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) (البقرة: 187) ((241)) .

وقد يبرر الوحي تصرفا مشينا يصل الى حد القتل، فيجعله من باب الخطا لا من باب العمد. وهذا ما يبسطه الخبر الموضح لسبب نزول الاية 92 من سورة النساء ((242)) .

رصد ثلاث دلالات ان هاتين الوظيفتين اللتين نهض بهما الوحي تعويلا على بعض اخبار اسباب النزول، مكنتنا من ان نرصد منها ثلاث دلالات:

اثبات الوحي اولا: اثبات تاريخية الوحي المحمدي. فعلى الرغم من ان الوحي، لدى عامة المسلمين، مفهوم مفارق، فانه في الوقت نفسه منغرس في واقع العلاقات الاجتماعية والسياسية، ومتعلق بمختلف المؤسسات الثقافية المعبرة عن معاش الناس واجتماعهم. ولذلك، فان نزول الايات على اسباب دليل ساطع عندهم على خاصية التنجيم في القرآن. فهو لم ينزل مفرقا((الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شي بوقت معين)) ((243)) . وكان نزول الوحي في راي قتادة ((بحسب المصالح في الحوادث والنوازل وغيرها)) ((244)) .

ولا شك في ان الاقرار بتاريخية الوحي يترتب عليه التسليم بامرين هما:

1- تاريخية الاحكام القرآنية المستخرجة من النص الديني.

2- تاريخية الاطارين الثقافي والمعرفي اللذين نزل فيهما الوحي. فقد ((يكون النص القرآني في نزوله اجاب عن اوضاع ظرفية سال عنها المسلمون الرسول، ولم يحتفظ لنا في زمن الجمع الا بما اجاب به الوحي، وقد قطع عن السؤال البشري،فبدت الاحكام التي اجاب بها الوحي مغلقة وصماء استعصت على الحوار، وقصرت عن التعايش مع المشاغل الحية في المجتمعات اللاحقة. ومن هذه الزاوية انسلت الاعراف من غير ان يحس المتدبرون في النص بوجودها، لانهم افراد من هذه المجتمعات يؤولون بحسب احوالهم الثقافية)) . ((245)) غير ان المفسرين والفقهاء القدامى لم يكن يعنيهم من تاريخية الوحي الا ما يقيم البرهان على النزول المنجم للقرآن، ولم يجرؤوا على اخضاعه كله لهذه الخاصية المميزة للوحي.

والعلة في ذلك على ما يبدو خوف الاجيال التي اعقبت جيل الدعوة من مراجعة الاحكام القرآنية، ومن بيان نسبيتها، ومن ثم تاريخيتها، وهو ما قد يدعوهم الى تقويض ما اعتقدوا انه منظومة احكام قرآنية مطلقة، ولذلك شدد القدامى، اكثر ما شددوا، على الجانب المفارق في الوحي حتى لا يطعن في حقيقة النبوة.

دور الرسول في تلقيه للوحي ثانيا: تاكيد المفسرين وعلماء القرآن الدور المهم للرسول في تلقي الوحي. والحجة في ذلك ان محمدا بلغ الجماعة المؤمنة الوحي كله المنزل عليه، بما فيه الايات المنطوية على لوم له. وفي ذلك امارة على امانته في التبليغ وعلى عدم تدخله في الصياغة اللغوية للنازل عليه، حتى ان عائشة نسب اليها القول التالي: ((من حدثك ان محمداغ كتم شيئا من القرآن فقدكذب)) ((246)) .

والحاصل ان في اخبار اسباب النزول بيانا لمؤاخذة الوحي الرسول على بعض اجتهاداته مما يوفر ضمانات كافية للقدامى لاثبات اهمية دور الرسول في تلقي الوحي وتبليغه.

ومكن هذا التصور من الرد على الطاعنين في النبوة منذ وقت مبكر.ودوننا قول ابن عباس متحدثا عن الاية 14 من سورة المؤمنون (23): ((ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب هذاالايات لرسول اللّهغ. فلما انتهى الى قوله تعالى: (خلقا آخر) عجب من ذلك، فقال: (فتبارك الله احسن الخالقين) فقال رسول اللّهغ: اكتب فهكذا نزلت. فشك عبد الله وقال: ان كان محمد صادقا فيما يقول فانه يوحى الى كما يوحى اليه،وان كان كاذبا فلا خير في دينه. فهرب الى مكة. فقيل: انه مات على الكفر. وقيل: انه اسلم يوم الفتح)) ((247)) .

والحق ان القول بسلبية دور الرسول يتفق ونزول الوحي بلغة العرب وسننها في الاداء والتواصل والابلاغ. ولا شك في ان الوحي يستدعي وجود هذا الوسيط اللغوي الذي يكون فيه الرسول مساهما بشكل من الاشكال في نقل الوحي الى قرآن عربي ((248)) .

بشرية الرسول وثالثا: ان الوظيفتين اللتين اداهما الوحي في اخبار اسباب النزول دلتا بوضوح على بشرية الرسول غ وبينتا حدود اجتهاداته.فهو كغيره من البشر، يخطئ ويصيب، يحكم عقله ويخضع لرايه الذي يراه صوابا. فهو اذن لا يستطيع معرفة محتوى الوحي المنزل عليه بصفة قبلية ((249). وفعلا فان القرآن يقدم الرسول في صورة تاريخية واقعية بعيدة جدا عن مظاهر التضخيم والمبالغة، وذلك على خلاف ما ترويه كتب السيرة النبوية حين اسندت اليه صفات خارقة، ونسبت اليه معجزات سواء قبل البعثة ام بعدها ((250)) .

الوحي والدين والمهم بالنسبة لنا ان الوحي من البعد الانتربولوجي ((251)) ظاهرة لصيقة بالدين، يمكن الوقوف على خصائصهاوآثارها في الواقع التاريخي من ناحية، وعلى ما تؤديه من دلالات وما تنهض به من وظائف من ناحية اخرى. فللوحي،من هذا المنظور، معقوليته الخاصة ((252)) التي تختلف دون شك عن معقوليتنا الحديثة والمعاصرة. ولذلك يصبح السؤال عن اصل الوحي ومنبعه غير ذي جدوى ((253)) . ونعتقد ان الاستئناس بالمنهج الانتروبولوجي يساعد على اقتراع تعريف للوحي عموما. وهذا ما قام به بعض المفكرين المعاصرين حينما دعوا الى فهم الوحي باعتباره ظاهرة لغوية ثقافية.

اذ((يمكننا القول بوجود وحي في كل مرة تظهر فيها لغة جديدة، وتجي لكي تعدل جذريا من نظرة الانسان عن وضعه، وعن كينونته في العالم، وعن علاقته بالتاريخ، وعن فعاليته في انتاج المعنى. ان الوحي يعني حدوث معنى جديد في الفضاءالداخلي للانسان... وهذا المعنى يفتح امكانيات لا نهائية او متواترة من المعاني بالنسبة للوجود البشري)) ((254)) .

وتتمثل قيمة هذا التعريف للوحي في مواءمته بين انماط الوحي التوحيدي في الديانات الكتابية الثلاث المجسمة اساسا في نصوص التوراة والاناجيل والقرآن. وفضلا عن ذلك يقدم التعريف ذاته رؤية جديدة لمسالة معارضات القرآن في الفكرالاسلامي ((255)) .

خاتمة البحث وخلاصة ما نصل اليه في خاتمة هذا البحث ان اخبار اسباب النزول عرفتنا بتصور القدامى للوحي، وبتمثلهم لمرحلة الدعوة المحمدية. حيث كانت الثقافة العربية تنهض على المشافهة طوال القرن الهجري الاول، ولم تتحول بعض العلوم الاسلامية الى نصوص مكتوبة الا في العقد الاخير من النصف الاول من القرن الثاني، اذا استثنينا النص القرآني الذي اكتمل كتابته اثناء خلافة عثمان بن عفان ((256)) . وقد وقر في نفوسهم ان ما نقلوه عن حال النبي عند تقب ل الوحي وما بينوه من علاقات زمنية بين وقوع السبب ونزول الوحيهو الحقيقة التاريخية عينها. فلا نبالغ اذا قلنا ان الحفاظ على الوحي كان التعويل فيه على الرواية الشفوية التي كان لها اثرها في اختلاف القراءات وتباين المصاحف، ذلك ان الوحي ظل خاضعالبعض التغييرات التي شرعها الرسول اثناء حياته، واقتضتها ظروف الرواية الشفوية ((257)) . وظنوا انهم بهذا العمل يستعيدون على صعيد الحكي فترة انموذجية من تاريخ الاسلام. ولكن ((ليس الخبر كالعيان)) على حد عبارة الجاحظ المشهورة.